

كثرة النعم وشكر المنعم

الحمد لله الذي تفرد بالجلال والعظمة والعز والكبرياء والجمال، وأشكره شكر عبد معترف بالتقصير عن شكر بعض ما أسدى من الإنعام والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وأما بعد: إليك يا من أظلتك السماء بنجومها، وأقلتك الأرض بثراها؛ فرتعت على ظهرها وأديمها! شربت من مائها، وأكلت من زرعها، وسخّرت لك الأنعام، وذلت لك الأرض، ومخّرت في لجج البحار! فأخرجت منها لحمًا طريًا، وحلية تتزين بها! نعمّ دائرة، وعطايا نازلة! لا يحصيها العدُّ، ولا يحيط بها العلم! يا ابن آدم!

هل تذكرت يومًا صاحب هذه النعم؟! هل لهج لسانك بشكر رب تلك النعم؟!

أخي المسلم: نعمّ الله تعالى عليك كثيرة، فهل شكرت الله تعالى عليها؟! حاسب نفسك، واسألها: هل أنت من الشاكرين؟! كم من نعمة عليك في صباحك ومساءلك؟! وكأنها تناديك: هل أديت شكري؟!

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا
لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.
﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فِعجَبًا لمن رتِع في نِعَمِ اللهِ تعالى؛ ونسي أن يذكُرها! نسي أن هذه النِعَم
من الوَهَّاب الذي بيده خزائن كل شيء!

وما قلب عمر بن عبد العزيز بصره إلى نعمة أنعم الله عز وجل بها
عليه؛ إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا أو أكفرها
بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها. البيهقي في شعب الإيمان.

فأين أنت أخي المسلم من قافلة الشاكرين؟! فإيّاك أن تكون بعيدًا
عنها! وإلّا وجدت نفسك في طريق آخر، ولعله طريق أهل الكفران
بالنعمة! ولا تظنّ أن نعم الله تعالى لا تتجاوز مأكلك ومشربك
وملبسك!

فإن من ظنّ ذلك فهو جاهل غافل! قال الحسن البصري: «من لا
يرى لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب أو لباس، فقد قصر علمه،
وحضر عذابه!». ابن أبي الدنيا في الشكر.

ومن أعظم نعم الله عليك: الهداية إلى دين الإسلام، والثبات على التوحيد.

قال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله عز وجل على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم أن لا إله إلا الله، قال: وإن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا». البيهقي في شعب الإيمان.

وقال بكر المزني: «من كان مسلمًا، وبدنه في عافية؛ فقد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا، وسيد نعيم الآخرة؛ لأن سيد نعيم الدنيا هو العافية، وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام». السمرقندي في تنبيه الغافلين.

أخي المسلم: تلك هي نعمة الإسلام أعظم وأغلى نعمة أنعمت بها، فهل شكرت الله تعالى عليها؟! هل تذكّرت عظم هذه النعمة؟! كم هم مساكين أولئك الذين وقفت عقولهم عند نعمة الأكل والشرب، ولم تتذكر هذه النعمة العظيمة!

وذكر ابن القيم، عن أبي عثمان: «شكر العامة على المطعم والملبس وقوت الأبدان، وشكر الخاصة على التوحيد والإيمان وقوت القلوب». عدة الصابرين.

أخي المسلم: إذا كنت من الشاكرين لله تعالى على نعمه، فأنت على خير عظيم، وإن الهداية إلى الشكر نعمة تستحق الشكر!

قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها؛ إلاَّ كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة...». الطبراني في المعجم.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمدهُ عليها». أخرجه مسلم.

وعن مكحول: «أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: «بارد الشراب، وظل المساكن، وشبَّع البطون، واعتدال الخلق، ولذة النوم».

وقال يونس بن عبيد: «قال رجل لأبي تيممة: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل! ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يُعيِّرني بها أحد، ومودَّة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي؟!». «.

وكم من صاحب نعمة؛ كثير المال، عريض الثراء؛ لم يستفد من ذلك؛ بسبب أمراض لزمته، أو هلع حلَّ به؛ فتراه غير متمتع بطيب الطعام، ولا هانئ بلذيد المنام! كثير الشكوى! قليل الشكر! وكم من فقير مُعْدَم

لا يملك قوت يومه، ولكنه معافى في جسده ضاحكاً مسروراً لا يحمل هم قوت غده شاكرًا ربه تعالى. فأين هذا من ذلك؟!

قال الحسن البصري: «الخير الذي لا شرَّ فيه العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر».

عباد الله: يصدح المؤذن كل يوم خمس مرات، فيهرع المسلم إلى بيت الله ليتصل بربه، ويروي قلبه ونفسه من مَعِين الإيمان، ويُنَوِّر فؤاده وسائر جوارحه، يتقلب العبد في صنوف النعم، ينعم بصنوف الأطعمة حتى يختار ماذا يتغدى اليوم وماذا يتعشى؟ من وفرة النعم وكثرتها، نتجول ونسافر في أمن وراحة دون خوف من شيء إلا من الله، المال والبيت والعرض في حفظ وسلامة، لم يبت واحد منا ليلة واحدة في خوف على شيء منها.

نعم يا عباد الله: نتقلب في نعم عظيمة نعبد ربنا وننعم بصحة أبداننا، وقلب مطمئن وعين قريرة، وعيش رغيد ومال وعرض محفوظان مصونان، فله الحمد والمنة، كل هذه النعم لا معنى لها إذا فقدت نعمة واحدة، فلن ننعم بعد فقدها بذكر وصلاة ولن نتمتع بطعام وشراب، ولن يجد الغمض إلى الواحد منا سبيلاً، ولن نأمن على مال وعرض وأيِّ حياة أشقى من هذه الحياة؟! تُرى ما هذه النعمة؟ إنها نعمة

الأمن يا عباد الله، وهذا يُفسّر عناية أبينا إبراهيم عليه السلام بهذه
النعمة فيها هو يلهج إلى ربه أن يهب للبلد الحرام نعمة الأمن؛ ﴿وَإِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ﴾.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبيّن لنا عظم هذه النعمة؛ فيقول:
"من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سريره، عنده قوت يومه،
فكأنما حيزت له الدنيا". ابن ماجه في سننه.

فنعمة الأمن يا عباد الله من أجلّ النعم وأعظمها، تابع الأخبار ترّ
الشتات والدمار وتفرّق الأسر وضياع الأموال والأعراض، ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم، أسأل الله الحي القيوم أن يَمُنَّ على بلاد
المسلمين بالأمن والاستقرار والرخاء.

*** **

الخطبة الثانية

الحمد لله تعالى أسبغ التّعم الكثيرة، وأعطى العطايا الغزيرة، والصلاة
والسلام على النبي الطاهر، وآله وأصحابه أكرم ناصر. إنا عباد الله
ننعم بأمن لا مثيل له، ولذا علينا أن نحمد الله عز وجل على هذه

النعمة، ونلهج له ليل نهار أن يحفظ لنا أمننا ويديمه علينا، وأن نفتش عن أسباب استتباب الأمن وزيادته فنحافظ عليها ونتمسك بها.

عباد الله: مَنْ الذي يهب الأمن لعباده؟ مَنْ الذي يحفظه عليهم؟ مَنْ الذي يُبَدِّل الخوف أمنًا؟ إنه الله عز وجل يهب الأمن لمن يشاء من عباده وينزعه ممن يشاء من عباده، تأملوا هذه النصوص؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فالله جل وعلا واهب الأمن، والله سبحانه حافظ الأمن، والله سبحانه يبدل الخوف أمنًا؛ فعلينا عباد الله أن نلهج لربنا بالشكر الجزيل على هذه النعمة العظيمة، وأن نلتمس رضى ربنا عز وجل، ونتجنب مساخطه، ועلينا أن نفعل الأسباب التي تحفظ علينا أمننا واستقرارنا. ومنها:

أولاً: الإيمان بالله وتوحيده والحذر من الشرك؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

فاحمدوا الله عباد الله على نعمة التوحيد والسلامة من الشرك؛ فله الحمد والمنة.

ثانياً: الاستكثار من الأعمال الصالحة؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

ثالثاً: اجتماع الكلمة والاتلاف والبعد عن الفرقة والتحزب.

والاختلاف داء خطير إذا أصابت مجتمعاً من المجتمعات كان مصيره الفشل والبوار، وحل به عقاب الله وسخطه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وهذا الأصل الذي هو المحافظة على الجماعة مما عظمت وصية النبي صلى الله عليه وسلم به في مواطن عامة وخاصة، فعن ابن عباسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ". الترمذي في الجامع.

رابعاً: طاعة ولي الأمر في غير معصية الله؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: "بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ

وَالْمَكْرَهَ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ" وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً". متفق عليه.

خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ". الترمذي في الجامع.

سادساً: الحذر من فسوق المعاصي والفسوق وظهور المنكرات؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

وعَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِئْسَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ"، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "نَعَمْ؛ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ". متفق عليه.

سابعاً: الحذر من بطر النعمة وكفرانها والتبذير بكل صورته، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلِكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. فاشكروا -عباد الله- ربكم على ما أولاكم من النعم، وإياكم وكفرانها، واعتبروا بمن حولكم من البلدان كيف كانوا بالأمس؟! وكيف هم الآن؟! وتأملوا قول ربكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

اللهم احفظ علينا إيماننا وتوحيدنا وأمننا واستقرارنا يا حي يا قيوم.